-٦-

شعرٌ... وسمنة!

خلال سمنتي ارتبط مفهوم النصيحة عندي بالدعوات التي تُطلق تجاهي داعية إلى تخفيفي من وزني. في البداية كانت المسألة مقلقة وتتسبب عادة في إزعاجي، مما يسهم في التأثير سلباً على نفسيتي، غير أن حساسية البدايات تحولت مع الوقت إلى لا مبالاة مطلقة، وجِلدُ المشاعر ناعمُ الملمسِ، صار مع كثرة الطرق خشناً صلداً.

قالت لي والدتي -حفظها الله- أكثر من مرة، في طريق حثها المتواصل لي على التخفف والتخفيف: يا ابني، لا أهتم لك، إلا إذا تذكرت أنك ستموت يوماً، فكيف سيتحمل حاملو جنازتك كل هذا الوزن؟!

كانت ردة فعلي استحضاراً لمشهد كرتوني يتخيل جنازة لا يحملها الرجال، بل رافعة آلية من تلك التي تستخدم لتشييد المباني الشاهقة، ثم ينتهي المشهد الكرتوني بتخيلي لأبي الطيب المتنبي وهو يراقب جنازتي الآلية الكرتونية، ثم يبتسم بفخر ويردد بصوت مجلجل يملأ الأرجاء قائلاً:

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

ولكي يطابق بيت المتنبي حالتي يجب أن يُناقل بين "النفوس" و"الأجسام"، ليكون:

وإذا كانت الأجســـام كبارا

تعبت في مرادها النفــوسُ

لكني أقول: هل تسكن النفوس إلا في الأجساد، وهل تخلو الأجساد من النفوس؟!

ثم إنها الحالة التي يحلو لي أن أمارسها فأقلب الأبيات أحيانا بشكل يعبر عن حداثة ذائقة مهترئة، تستند إلى كل الأرطال التي كنت أزخر بها، أو هي تزخر بي، لا فرق، فأقول أحياناً في حالة يصف صاحبها الشباب في السعودية، بأنه "مفهي":

وإذا كانت الأجســـام كبارا

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه!

كنت أحياناً أقول تعليقاً على مداخلة السيدة الوالدة الناصحة، كما قال أبو فراس الحمداني:

إذا مِتُ ظمآناً فلا نزل القطر!

وأحياناً أتمثل قول السيدة أسماء بنت أبي بكر لابنها ابن الزبير رضي الله عنهم أجمعين:

إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها!

فأهرب بذلك من الرضوخ لأمنيات الناصحين.

أقول لكم محذراً ومنذراً، ومتحدثاً بنعمة الله: إن البدناء، يمكنهم بسهولة أن يكونوا كما قالت العرب:

مكرٍ مفرٍ مقبل مدبر معاً

ولكن في الأفكار، والنقاشات، لا فيزيائياً بطبيعة الحال.

وما دام الحديث في التاريخ والتراث، فأقول: إن أكثر الشخصيات التاريخية أثرة عندي تلك التي يتناقل الرواة شيئاً عن ضخامتها، وطالما حفلت بما جاء أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان ضخماً، حتى إن رجليه تتدليان على الأرض وهو راكبٌ الدابة!

بل لقد كان ابنه عبدالله بن عمر ضخماً حتى تعذر أن يحمل نعش جنازته أربعة رجال!

ولم يكن كثير من الصحابة بعيدين عن وصف الضخامة هذا...

عصرياً، لم يكن شيء أحب إلى قلبي من بزوغ نجم سمين مثلي يوم كنت سميناً، وبخاصة في السينما، على قلتهم كما أشرت في فصل العنصرية ضد البدناء. ولهذا كنت أحب علاء ولي الدين -رحمه الله- لأسباب: سمنته أولاً، وخفة دمه ثانياً، ووجهه الطفولي ثالثاً! وقد حزنت على وفاته كثيراً، فقد كان بوجهه الطيب البشوش، نعم السفير للبدناء من خلال السينما والتلفزيون.

وعندما أطل علينا زميلنا عماد الدين أديب عبر التلفزيون في برنامجه الشهير (على الهواء) في قناة (أوربت) استبشرت خيراً، وحزنت لتوقفه عن التلفاز، وظللت أثني عليه وعلى البرنامج، حتى مع كوني غير مشترك في القناة التي كان يظهر من خلالها!

كانت الفكرة تتمثل في حرصي على نقض صورة النجم ذي الجسد الممشوق المتوازن البناء الجسمي.

ولأن الشيء بالشيء يذكر أتجه صوب الخليج، حيث الحنين والدفء والأصالة، وجذوري فأشير إلى حسين

الجسمي الفنان الإماراتي ذي الصوت الشجي، ولا أنسى بلبل الخليج الفنان الكويتي نبيل شعيل، الذي بدأ رحلة النجومية ذات الوزن الثقيل، جسداً وفناً، وفي السعودية برز الممثل الشاب فهد الحيان، في تخصص نادر محبب إلى قلوب الأطفال بالذات، وأنضم إليهم كلما أردت أن أهرب من نزق الكبار، إلى طيبة الصغار وعفويتهم، وقبله كان يوسف الجرّاح، الذي أثبت رجولة وثباتاً على المبدأ، عندما قرأت له تصريحاً ديبلوماسياً جداً، قال فيه: من سيسألني عن سمنتي سأضربه!

وأقول معلقاً، لا مبرراً، بأن من جاء بقلة الأدب، استوجب تأديبه يا عم يوسف، وإذ أكتب ذلك، فإني أسطره، بعد أن بدأت أتنازل عن سمنتي شيئاً فشيئاً، حتى لا أضرِبَ أو أُضرَب، ولو على سبيل المزاح!